لا اعلم لان ابنتهم مريضة جدًّا . كذا بلغني مساكين ولن تبقى اموالهم كلها . هل اتى مستر كنسباي معك — كلاَّ بل هو في المجلس — بلغني انهُ شديد المواظبة على حضور الجلسات . نعم لانهُ يحبها . مبروك مبروك لا انسب منهُ لها ولا انسب منها لهُ . كذا يقال

وتحدَّث لورد منتكيوت مع لادي كونستانس ثم رقص معها وكان يراقب حركاتها ومكناتها على ما رأتهُ الامهات الخبيرات . وكانت هذه السيدة من الشهيرات بجمالهنَّ ويقال انها رفضت كثيرين من العظماء الذين اتوها خاطبين ولكن بعضهم لم يقطع الرجاء من رضاها ولذلك قيل انها لم تظهر لهم انها رفضتهم رفضًا باتًّا . ويقال ايضًا انها تعرف كيف ترضي وكيف تُغضب وكيف تحن وكيف تسيء . ورافقها تنكرد الى غرفة الاردية حيث لبست الرداء الذي تخرج بهِ وتعود الى بيتها وعرَّفت امها بهِ هناك ولما ارادت وداعهُ قال لها يسوءني هذا الفراق . فتبسمت وقالت وانا كذلك ولكن لا اسهل من لقاء الاصدقاء كل يوم . فقال لها لا اعلم اين التقي بكِ غدًا الاَّ اذا كنت عازمة ان تمشي عند رئيس اساقفة يورك فقالت لهُ انني ذاهبة الى بيت مسز فلونسي وسيذهب كل احد الى هناك فعلى مَ لا تذهب انت ايضًا . فقال لانني لم أُدعَ اليهِ وزد على ذلك فاني مضطر ان افتش عن بخت . فقالت فتش عنهُ يوم الاثنين وتعال معنا غدًا الى بيت مسز فلونسي وهناك ترى اخي وتسألهُ عن بخت وهو ادرى الناس بذلك . فقال سأفعل ثم مدَّ لها يدهُ وساعدها على ركوب مركبتها

ستأتي البقية

تقدم الجراحة هذا القرن

لحضرة الدكتور وديع بربارى طبيب مستشفى الزقازيق

يهمُّ القراء عمومًا والاطباء خصوصًا بعد ان رأوا تقدُّم الجراحة وقتحوا بفوائد الاكتشافات الحديثة فيها ان يعرفوا الحالة التي كانت عليها في بداءة هذا القرن . فالجراحة من اهم فروع الطب ولتقدُّمها ونتائجها حسنةٌ اكثر من التقدم في علاج الامراض الباطنة وبها تخفيف الآلام ولاسيما في زمن الحروب حيث يقع الجرحى بالالوف ويتألمون آلامًا يرقُّ لها الجماد ولا تخففها الاَّ الوسائل الجراحية . نعم ان العقل يقف حائرًا عندما يراجع حالة هذا العلم في بداءة القرن التاسع عشر ويقابلها بحالتهِ في آخر ستةٍ منهُ فيشعر بفضل المكتشفين الذين خدموا نوع الانسان خير خدمة فاستحقوا الشكر الجزيل وقد اتيح لبعضهم مثل اللورد لستر ان يبقى في قيد

الحياة الى الآن ونرى العالم اجمع يتمتع بفوائد مكتشفاته والملايين تقرُّ بفضله وتخفف آلامها بعلمه وينال اكبر مكافأة من امته وحكومته مع اشرف الالقاب ولو كان ذلك قليلاً تجاه فضله الجزيل ونفعه العميم . وقد ذكر الدكتور هيث (Heath) طرفاً من تاريخ الجراحة في القرن الماضي مفعماً بالفوائد فرأيت الاَّ يحرم قراء العربية من الاطلاع عليه فلخصتهُ في السطور التالية

كانت اوروبا في بداية القرن التاسع عشر مشتغلة بحروب دائمة حتى انتصرت على نبوليون الاول سنة ١٨١٥ ولذلك كانت افكار الاطباء متجهة بنوع خاص الى الجراحة العسكرية والاصابات التي تنتج عن المقذوفات النارية وكانت الجراحة في ذلك الحين في طفوليتها تحتاج الى ما يخفف الالم و يساعد على سرعة اتمام العمليات الجراحية ويؤكد نجاحها من الوسائط العلاجية والواقية وكان هم الجراحين الاول ايقاف النزف حينما يبترون العضو المصاب لتخليص الجريح إما في ساحة القتال او في احد البيوت المجاورة ولم يكن لديهم من المخبيات ما يساعدهم على التأني في عملهم وتخفيف الم المصاب ولا من المضادات للفساد ما يؤكد لهم حسن النتيجة فكان متوسط الوفيات اكثر مما هو الآن كثيراً وكانت الحروب خير مدرسة للجراحة امتاز فيها الجراحون واشتهرت اسماؤهم بعدها. ومن الذين امتازوا على غيرهم الجراح لاري Larry الذي كان وجودهُ في الجيش بمثابة جيش آخر مساعد له لان وجوده كان يبث الشجاعة في قلوب العساكر المحاربة لثقتهم بانهم اذا جرحوا وجدوا من يخفف آلامهم و يعتني بهم الاعتناء اللازم لتخليص حياتهم فكانوا يحاربون مستقتلين ومعتمدين على جراحهم هذا . ومن هذه المدرسة التمرينية انتُخب اساتذة الجراحة للتعليم في المدارس الكلية . ومن اهم المواضيع التي اشتغلوا بها حينئذٍ عملية البتر اي قطع احد الاطراف . وكانوا يعتمدون على البتر المستدير او الحلقي حتى ظهر الجراح لستن Liston واوجد بعض التحسين بايجاده عملية البتر ذات الشرائح التي يتوفر بها الغطاء اللازم لتغطية الجرح مع السرعة في العمل فانتدب سنة ١٨٣٦ ليكون جراح احدى المستشفيات الشهيرة في لندن وادخل اليها عمليتهُ هذه وكان كبير الجسم قوي البنية طويل القامة لا يقلُّ طولهُ عن ست اقدام فكان يقبض على الفخذ و يقطع الشريحة العليا ثم السفلى و يرجعها الى الوراء بيده اليمنى وينشر العظم بسرعة فائقة و يفتخر بانهُ يتم العملية في اقل من دقيقة واتمامها في هذا الوقت القصير كان يعد مهارة فائقة لانهُ لا يعرض المصاب لالم طويل وعذاب أليم ولم تكن المخبيات معروفة حتى ذلك الوقت بل كانوا اذا ارادوا عمل عملية جراحية اعطوا المصاب كأساً كبيرة من الكونياك (برندي) والماء ثم يؤخذ في العملية من قطع ونشر وخياطة الخ والمصاب يتحمل اشد عذاب الالم

اما الآن وقد اكتشفت المخبات ولم يبقَ ما يدعو الطبيب الى الاسراع في العمل فقد ابطلت هاتان العمليتان تقريباً واوجدت طرق اخرى اسهل منها وافضل فاذا اراد الجراح بتر عضو وضع المصاب تحت الكلورفورم وعقّم يديه والآلات الجراحية وعمل العملية ثم يضغط على الاوعية الدموية برباط اسمرك ويبتر العضو بتمهل وتأنٍ مختاراً الطريقة التي تناسب الحالة . والمصاب لا يشعر بشيء ولا يفقد من دمه ما يضعف قوته وبوجود مضادات الفساد صارت الارجحية في جانب الشفاء

واهم ما يذكر من المكتشفات الجراحية في القرن التاسع عشر

اولاً المخبات . وهي اعظم نعمة يذكرها الانسان لانها تخفف آلامهُ واكبر مزية للقرن التاسع عشر يذكرها المرضى على مر الايام فلا عجب اذا جُعل يوم ٧ اكتوبر عيداً عظيما تذكاراً لذلك اليوم من سنة ١٨٤٦ يوم جُربت المخبات اول مرة فوقف بالمراد وتحسنت بعد ذلك طريقة استعمالها وتعددت انواعها وشاع استعمالها حتى عمّت الدنيا

والفضل الاول في اكتشافها لمورتن Morton طبيب الاسنان من بوستن في اميركا الذي عمل بعض تجارب بالغاز الضحّاك المعروف من ايام همفري دافي بانهُ ينبّه مستنشقهُ فزاد مورتن كميتهُ فنجح عدة التجديد الوقتي الامر الذي لم يعرف عن هذا الغاز قبلاً واستعملهُ في قلع الاسنان واستأنف البحث عساهُ ان يجد ما يكون اوفى منهُ بالغرض واسهل في الاستعمال فوصل الى الايثر الكبريتيك فنجح مراراً في استعمالهِ لقلع الاسنان فاخبر الطبيب وارين Warren وكان مقيماً معهُ في بوستن وطلب منهُ ان يجربهُ في العمليات الجراحية الكبرى وهو يباشر اعطاءهُ بنفسهِ

وعليهِ صار الاتفاق بينهما على ان يجتمعا يوم ١٧ اكتوبر سنة ١٨٤٦ لمباشرة اول عملية تحت فعل المخبات ويكون عامل العملية وارن والمعطي للايثر مورتن وفي اليوم المعين عملت العملية والمريض لم يشعر بالم البتة ولم يتحرك اثناء العملية ولما افاق لم يصدق ان العملية عملت فقال ورن اذ ذاك "لا خداع في الامر" ولم تمضِ مدة طويلة حتى بلغ هذا الاكتشاف انكلترا واستعملهُ الجراح لستن في عمليتين في مستشفاهُ ثم شاع استعمالهُ حتى عم اوربا. ووجدوا ان في استعمال الايثر بعض الصعوبة فواصل احد المولدين المشهورين البحث حتى اتصل الى معرفة الكلورفورم المستعمل الآن ومن مزاياهُ اولاً اطلاق الحرية للجراح ليتأنّى في العمل ويستوفي طرق العملية القانونية في عملهِ وثانياً اراحة المريض من الالم حتى لا يحجم احد عن عمل اكبر عملية خوفاً من الالم

ثانياً . مضادات الفساد . وهي تفوق ما سواها باهميتها العلمية لانها اساس نجاح الجراحة فان كانت المغيبات تشجع المصاب على تسليم نفسهِ للجراح غير خائف من الالم فمضادات الفساد تجعلهُ على يقين من نجاح العملية لان عمليةً بلا الم عاقبتها الموت تضيع فضل الجراح ودقة العمل . وقبل اكتشاف هذه الطريقة اي قبل سنة ١٨٧٣ لم يكن يجسر طبيب على فتح تجويف البطن وطالما كانت ابسط الجروح والعمليات سبباً لضياع الحياة بالحمى العفنة . والفضل في اكتشاف مضادات الفساد للعلامة اللورد لستر Lister الجرّاح الشهير اكتشفها صدفة بلا تعب ولا اجهاد فكرة فانهُ جرب استعمال الحامض الكربوليك وكان البعض يستعملهُ في المجاري لمنع تصاعد الروائح الكريهة فجرّبهُ اولاً في حادثة كسر مضاعف واول ما كشف عن الجرح بعد غيارهِ بهذا الحامض وقف متعجباً من النجاح الذي صادفهُ لانهُ عوضاً عن ان يرى جرحاً منتيحاً كما اعتاد ان يرى قبلاً وجد جرحاً فيهِ جلطة دم عوضاً عن الصديد بلا اعراض التهابية حولهُ وهذه بداية اكتشاف مضادات الفساد التي تحسنت من وقت الى آخر واضيف اليها مواد اخرى مثل السليماني والكريوليد . واللورد لستر هو واضع الاساس وهو صاحب الطريقة المشهورة المعروفة بالغيار على الجرح ولو كانت قد تحسنت كثيراً وأُبدل جزء منها باحسن منهُ . وقد اصبح الجرّاح قادراً على حفظ الجرح عقيماً بانتباههِ الى نظافة يديهِ والمريض والممرضة وما يحيط بهِ من الاثاث وهو امرٌ لم يحلم بهِ الاطباء قديماً وصار قادراً ان يعمل اية عملية كانت غير راهب ذلك العدو القديم الذي كان يفسد اكثر العمليات الجراحية وهو الامتصاص العفن والحمى الصديدية

الحصوات المثانية — لم يعرف الاطباء قديماً لاستخراج الحصاة المثانية غير عملية الشق العجاني (الجانبي) مع كونها لا تفي بالمقصود ونتج منها اضرار عديدة حتى انها أُبطلت الآن ثم ان ويس Weiss صاحب معمل الآلات الجراحية المشهور وسيفيال Civiale الباريسي اشتغلا بجدٍّ لإيجاد طريقة افضل حتى توفقا الى اكتشاف آلة لتكسير الحصاة في المثانة في جلسات متعددة وتترك قطعها الناعمة لتخرج مع البول من نفسها واضاف كلوفر Clover الانكليزي اليها الطلبة المفرغة . وبالتحسين والاضافة وباهتمام بجلو Bigelow الاميركاني صار يمكن للجراح ان يكسر الحصاة ويستخرجها بالطلبة المذكورة بلا شق ولا خطر يذكر وذلك في جلسة واحدة . ثم ان عملية الشق العاني أُرجعت حديثاً ورغب فيها الاطباء بعد ان تبين انهُ يمكن رفع غشاء البريتون بواسطة تمديد المثانة بالماء والمستقيم بكيس من الصمغ المرن حتى يضغط على المثانة فيرتفع غشاء البريتون عن البطن الى علوٍّ لا يخشى عليهِ بعدهُ من ان يمس اثناء

العملية . وتعد هذه العملية الآن احسن عمليات الشق وتفضل في الاولاد لاسباب تشريحية لا تخفى على الطبيب .

فتح البطن — اعتقد الاطباء قديماً ان عمل العمليات الجراحية في احشاء البطن فوق مقدرة الجراح وان العلم قاصر عن اتمامها ولكن بفضل مضادات الفساد وتقدم الجراحة زالت كل العقبات واصبح فتح البطن كغيره من العمليات الجراحية فحصاة المرارة والكلية تستخرج في كل يوم والكلية تستأصل برمتها واورام الامعاء تفصل وتستخرج وتقطع اجزاء من الامعاء عند اللزوم. واكتشف حديثاً زر مورفي لهذه الغاية. ولا يبرح عن البال انه من مدة وجيزة استؤصلت المعدة برمتها . وكذلك الاورام الميضية نزعت اول مرة في سنة ١٨٠٩ لكن عملية نزعها لم تكن سوى مخاطرة شنأوها من قبيل الصدف فاصبحت بعد سنة ١٨٧٣ كباقي العمليات حتى ان Spencer Wells سبنسر ولس الذي توفي سنة ١٨٩٦ استخرج الفي كيس مبيضي مدة تعاطيه الجراحة بعد سنة ١٨٧٣

وتجويف الراس يفتح الآن وتستأصل منهُ الاورام وتفتح خراجاتهُ

ومن اهم الآلات التي اكتشفت في هذا القرن فكانت اكبر مساعد على تقدم فن الجراحة والتشخيص اولاً الميكروسكوب الذي بواسطته تعرف انواع الاورام والانسجة المختلفة ويستعمل في امراض مجرى البول لمعرفة مصدر العلة ولاكتشاف الجراثيم المختلفة. ثانياً الاپتلمسكوب الذي اكتشف في اواسط القرن التاسع عشر فكان اكبر دليل لتشخيص امراض العين ومداواتها ولمساعدة على تشخيص بعض الامراض الباطنية مثل مرض بريط. ثالثاً اللارنجسكوب للبحث عن امراض الحلق والانف . والاندوسكوب الكهربائي الذي بواسطته يرى داخل المثانة والتجاويف الداخلية . واخيراً اشعة رنتجن الحديثة الاكتشاف وقد صار امرها مشهوراً

هذه بعض الفوائد ذكرتها باختصار . ومما ذكر يرى ان اساس تقدم الجراحة المطيبات ومضادات الفساد والفضل في نجاح العمليات الجراحية وانتفاء الخطر منها لمضادات الفساد كما لا يخفى . ولو بُعث الجرّاحون الاقدمون ورأوا كيف تعمل العمليات الجراحية الكبيرة فتقطع الاطراف ويبقر البطن وتفتح الجمجمة وتقطع الامعاء وتوصل وتتم ذلك كلهُ بالسهولة التامة وتلتئم الجروح كلها بالمقصد الاول لما صدقوا عيونهم ولحسبوا اننا اكتشفنا اكسير الحياة ومنعنا عوادي الادواء . لاحرمت الانسانية رجالاً يوقفون انفسهم لخدمتها وترقية العلوم والفنون وتقليل الآفات والآلام . وعسى ان يكون القرن المقبل قرن اكتشاف وتقدم